في الاراضي المحتلة لا يسلّمون بهذا الاحتلال ويسعون الى ازالته؛ أما القسم الآخر داخل «الخط الاخضر»، على الرغم من حصولهم على الجنسية الاسرائيلية، فانهم يشعرون بروابط قوية تربطهم بمصير اخوانهم في الاراضي المحتلة، وبعدم الارتياح للهوية اليهودية ـ الصهيونية لدولة اسرائيل.

وسعت اسرائيل، ازاء هذا الوضع، الى بناء منظومة استيطانية مكثّفة للحؤول دون حدوث اي تطور انفصالي، من ناحية، ولتدعيم وجودها الديمغرافي في تلك المناطق، من ناحية أخرى. والسؤال المحوري الذي تسعى هذه الدراسة الى محاولة الاجابة عنه هو هل حققت السياسة الاستيطانية أهدافها المرجوّة؟ وما هي التداعيات المحتملة لهجرة اليهود السوفيات على اتجاهات السياسة الاستيطانية المستقبلية؟

شكل واتجاهات السياسة الاستيطانية

تميّزت الخارطة الاستيطانية، التي تشكلت في العقدين الماضيين، والتي ما زالت قيد التبلور بفعل موجة الهجرة اليهودية الجماعية من الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية، بمعالم لم تكن مألوفة في الخمسينات والستينات، اسسها ذلك التجاوز البارز للمنظومة الاستيطانية لحدود ما قبل العام ١٩٦٧، واعطائها الافضلية على صعيد الاستثمار والبنية التحتية، وانعدام الصلة والارتباط بين منظومة الاستيطان الجديدة والمنظومة القديمة داخل «الخط الاخضر»، وكذلك الاستيطان في مناطق تفتقر الى وسائل الانتاج (مياه وأراض زراعية)، أو في مناطق ذات طبيعة مكانية (topography) ومناخية متدنيّة تجعل من الصعب الوصول اليها، وهيمنة الاعتبارات الامنية والسياسية بالنسبة الى تحديد اماكن الاستيطان، بدلاً من تفضيل الجدوى الاقتصادية، بل وتنفيذ مشاريع استيطانية وفق نظام أفضليات غير ثابت، شمل الاستيطان في مناطق مأهولة بالفلسطينيين، من ناحية، والخلط بين منظومات الاستيطان المديني، وشبه المديني، والقروي، دون ملائمة مكانية أو جغرافية، من ناحية ثانية، والاستيطان الاصطناعي القائم على اعتبارات قصيرة المدى من ناحية ثالثة، والاستيطان الكثيف من خلال استغلال التكنولوجيات الحديثة من ناحية اخيرة.

ويمكن تمييز مرحلتين اساسيتين في السياسة الاستيطانية الاسرائيلية، هما مرحلة الاستيطان داخل «الخط الاخضر»، ومرحلة الاستيطان في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة.

مرحلة الاستيطان داخل «الخط الاخضر»

ساد في اسرائيل ترتيب أفضليات متغيّر على صعيد الاستيطان داخل «الخط الاخضر»[٣]، حيث تركزت الجهود على النقب أساساً، ثمّ تحوّلت الى الشمال في الجليل، وأخيراً في القدس. ولكن الاهداف المرجوّة لم تتحقق في أي من هذه المناطق.

فاستيطان النقب ما زال في بدايته، على الرغم من انه كان، على امتداد سنوات عديدة، محط الانظار لتحقيق الحلم الصهيوني، حيث برزت العراقيل أمام الجهود المبذولة لاختراق الحاجز الصحراوي المتمثل في عدم توافر الاراضي الزراعية والمياه، ممّا جعل الواقع الاستيطاني في جبل النقب ووادي عربة منخفضاً جداً. ومع حدوث تزايد استيطاني في بعض المراكز المدينية، في النقب الشمالي، خصوصاً في منطقة بئر السبع التي بلغ عدد سكانها نحو ١٢٠ ألفاً (احصاء العام ١٩٨٤)، ومع انتشار بعض تجمّعات الموشاف للمهاجرين في منطقة النقب الشمالي ـ الغربي، الّا ان سكان النقب يشكلون نحو ستة بالمئة فقط من مجموع سكان اسرائيل. والاكثرية الديمغرافية في منطقة النقب هي للفلسطينيين، بفعل الميل نحو تكثيف التواجد الفلسطيني في المنطقة المسيّجة في النقب الشمالي،